# تطور جماعة الرفاق في المجتمعات العربية المعاصرة ودلالاتها التربوية: رؤية تحليلية

## إعداد

**د/ ماجد محمد الزيودي**

أستاذ أصول التربية المشارك

كلية التربية– جامعة طيبة

# تطور جماعة الرفاق في المجتمعات العربية المعاصرة ودلالاتها التربوية: رؤية تحليلية

د/ ماجد محمد الزيودي *

## المقدمة:

من القضايا المتأصّلة في أعماق الإنسان هي طبيعته الاجتماعية، فحالات الانتماء الجماعي، والتكتل ضمن إطار تجمّع معين، كلّها تنطلق من غريزة حب الاجتماع. كما تعد الحاجة إلى الانتماء والشعور بالأمان هاجس إنساني شغل الإنسان على مر العصور، فهو دائم البحث عن التواصل مع الآخرين لإشباع هذه الحاجة، فمنذ طفولة الفرد تنمو لديه القدرة تدريجياً على إنشاء العلاقات الاجتماعية مع الآخرين.

ومع تطوّر وسائل الاتصال الحديثة والمعاصرة، يلاحظ أنّ ملامح الحياة البشرية شهدت تغيرات جوهرية ملموسة، فعلى سبيل المثال، حلّت الرسائل الإلكترونية محل الرسائل الخطية، وزاحمت الدردشات الإلكترونية الجلسات والمجالس العائلية والاجتماعية، ولم يعد السفر شرطاً لرؤية الأصدقاء، أو البيع والشراء، أو الدراسة. وعلى مستوى المجتمعات العربية، فلقد توالت التغيرات الاجتماعية والثقافية عليها في العقود القليلة الماضية، لعل أبرزها ظهور ظاهرة العولمة، وما رافقها من ثورة معلوماتية، إذ أحدثت تغيراً في المواقف والاتجاهات والقيم لدى أفراد المجتمع العربي وبشكل سريع ومروع، حيث يتوقع كثير من الباحثين أن تتم في عمر الجيل الواحد تغيرات متتالية وعديدة.

ويمكن القول، ولوقت قريب، إن عملية التنشئة الاجتماعية في المجتمعات العربية، بمؤسساتها الرسمية وغير الرسمية، كالأسرة، والمدرسة، والمؤسسة الدينية، والإعلام، وجماعة الرفاق، كانت عملية ميسورة ومحددة الملامح والمقومات والإجراءات تتولاها هذه المؤسسات، وهي تُعدّ بمثابة الرحم الذي تتشكل فيه ملامح هوية الإنسان وقيمه واتجاهاته.

* **د/ ماجد محمد الزيودي:** أستاذ أصول التربية المشارك– كلية التربية– جامعة طيبة

أما في عصر الانفتاح "فإن عملية التنشئة باتت متزايدة التشعب والتعقيد، حيث يتعاظم دور القوى والمؤثرات غير المقننة (مثل الإعلام الفضائي، وانفجار كثافة العلاقات الاجتماعية على اختلافها، وقواعد المعلومات وانتشارها المتسارع). فلقد أصبح تأثير القوى غير المقننة يشكل ملفات ساخنة، ليس فقط عربياً، بل عالمياً كذلك". (حجازي،2001: 110)

إن الحديث عن الأدوار المتجددة والمتغيرة لمؤسسات التنشئة الاجتماعية، ومنها جماعة الرفاق، في ضوء ما يشهده العالم المعاصر من تغيرات في مختلف مجالات الحياة، ولا سيما في ظل العولمة والمعلوماتية، هو أمر في غاية الأهمية؛ لتتبع وفهم التغيرات التي طرأت على الطبيعة التربوية لهذه المؤسسات في المجتمعات العربية المعاصرة، وآلية التعامل معها، ولنكون قادرين على التعامل مع التغيرات الإعلامية والثقافية والاجتماعية التي ظهرت في هذا العصر وصولاً إلى وضع الخطط التنموية للمستقبل بكافه أبعاده.

**الإطار النظري للدراسة:**

إن المتتبع لطبيعة عمل المؤسسات المعنية بالتنشئة والتربية في العقدين الأخيرين، يلاحظ تغيرها إلى حد كبير، ولم يكن هذا التغير على المستوى الوظيفي لها فحسب، بل طال هذا التغيير طبيعة أدوار هذه المؤسسات، وحجم ما تقوم به مؤسسة ما عن الأخرى.

فالأسرة العربية، على سبيل المثال، وكما يذكر بلقزيز(1999) شهدت تفككا في بنيتها في ظل التحولات الاجتماعية والثقافية التي شهدتها المجتمعات العربية المعاصرة، لعل أبرز مظاهر هذه التحولات تتمثل في عدم قدرة الأسرة على أن تبقى كمرجعية قيمية وأخلاقية للشباب، بسبب ظهور مصادر جديدة منافسة لإنتاج القيم وتوزيعها.

وبالنظر إلى أداء المؤسسات التربوية (المدارس والجامعات) في العالم العربي، فقد شهدت تراجعاً هي الأخرى في أداء دورها الثقافي والتربوي المتمثل في غرس روح الولاء والانتماء الديني والقومي، والتأكيد على الهوية الثقافية للشباب، واقتصار أدوارها على التعليم والتدريب الأكاديمي. (الزيودي، 2011)

كذلك الحال بالنسبة لجماعة الرفاق، كأحد الأوساط الاجتماعية، وهي بحق إحدى المؤسسات الهامة والفاعلة التي تسهم في تنشئة الفرد وتكوينه؛ كونها تعطيه مساحة كبيرة من الحرية في بنائها وحمايتها وتنظيمها، وتشعره بالثقة بنفسه وبمكانته،

فقد شهدت، كبقية مؤسسات التنشئة الأخرى، مزيدا من التغيرات في طبيعتها البنائية والأدائية.

وعند تأمل طبيعة جماعة الأقران (الرفاق) في المجتمعات العربية خلال فترة ما قبل التسعينيات من القرن الماضي، وطبيعتها في وقتنا الحالي، حيث التغيرات الاجتماعية والثقافية المتسارعة، يلاحظ أن ثمة تغيرات حصلت على طبيعة هذه الجماعة شكلاً ومضموناً، ويتمثل ذلك في تغير طبيعة الاتصالات البنيوية، والتوسع العلائقي بين أعضائها، كما نلاحظ أن هذه التغيرات أتاحت للناشئة فعاليات أكثر تنوعاً، وأنماطاً سلوكية جديدة، بالإضافة إلى تداولهم موضوعات جديدة لم تكن معروفة في الماضي، ولا سيما في ظل الإعلام الفضائي. وقد لعبت شبكة المعلومات (الإنترنت) وتكنولوجيا الهواتف المحمولة دوراً كبيراً ومؤثراً في التغيير الحاصل على هذه الجماعات، حيث يتم عبر التكنولوجيا المتقدمة تبادل الأفكار والمعلومات بحرية تامة بعيداً عن عيون الرقابة الأسرية. (الزيودي، 2011)

وفي ذات السياق، يمكن القول إن وظائف شبكات التواصل الاجتماعي، والتي تعتبر الميدان الحقيقي لنشاطات جماعات الرفاق المعاصرة في المجتمع العربي المعاصر، يتعدى دورها الظاهر للعيان والمتمثل بمجرد التسلية والترفيه، فهي تمارس أيضاً وظائف سيسو- سياسية تتعلق بحشد الرأي العام، والضغط على السلطات للمطالبة بالحقوق الاجتماعية، والسياسية، بهدف تذليل الواقع وصعوباته، لذا فقد أسهمت هذه الشبكات في إيجاد تنظيمات بديلة عن التنظيمات التقليدية السابقة، والتي تضم في عضويتها أفراد من مختلف الفئات الاجتماعية. (عطوان، وعباس، 2015)

ومع ظهور الثورة الاتصالية المعلوماتية المعاصرة ظهرت عدة نظريات تفسر تكوين الصداقات والعلاقات وتطورها عبر الزمن، منها نظرية رأس المال الاجتماعي (بلاتشرد وهوز) وترى هذه النظرية أن رأس المال الاجتماعي-على الصعيد الافتراضي- يتأسس بناء على شبكة من الارتباطات بين أفراد التفاعلات الافتراضية المنتشرة في مواقع التواصل الاجتماعي، وذلك عبر عدد من الخصال والسمات وهي التبادل المعلوماتي والدعم الاجتماعي- وهو ما يتوفر في شبكات التواصل الاجتماعي؛ فأما الأولى، فيقصدان بها المجال الذي يسهم في حل المعضلات ذات الأبعاد التقنية والاجتماعية، في حين أن العنصر الثاني يعني الدعم الذي يستفيد به

الفرد من خلال امتلاكه شبكة من العلاقات عبر تفاعلات المجتمع الافتراضي. (زكي، 2013)

ووفقاً لهذه النظرية، فإن قوة رأس المال الاجتماعي الافتراضي في جماعات الصداقة الإلكترونية مستمدة من شبكة العلاقات التي تتم في رحاب الإنترنت، أو بالأحرى في شبكات التواصل الاجتماعي، والتي تقوم على المصالح المتجانسة بين أعضاء هذه الجماعات والتي يمكن الاستفادة منها في تحقيق مصالح متبادلة بين الأعضاء من ذوي الاهتمامات الواحدة. وتجدر الاشارة هنا إلى أن تفاعلات المجتمع الافتراضي في مواقع التواصل الاجتماعي لا ترتبط بوقت معين مما يمكنها من تكوين رصيد أكبر لشبكة العلاقات والصداقات، فعنصر العلاقات المتبادلة وتكامل الاهتمامات المشتركة بين الأفراد في هذه الشبكة – وفق هذه النظرية – عوامل تسهم في تشكيل رأس المال الافتراضي في شبكات التواصل الاجتماعي.

**الدراسات السابقة:**

قام الباحث بعمل مسح للدراسات العربية والأجنبية، ولم يجد أي دراسة تتعلق بفكرة الدراسة الحالية، فما كتب عن جماعة الرفاق هي دراسات – على أهميتها– تتناول جماعة الرفاق بشكلها التقليدي، وفي جوانب تبعد عن موضوع الدراسة الحالية وأهدافها، في حين أن بعض الدراسات تناولت مواقع التواصل الاجتماعي ودورها في تكوين الصداقة، ويمكن عرض أهم نتائجها فيما يأتي:

توصلت دراسة (عرفه، 2015) إلى أن أفراد عينة الدراسة (67%) منهم أفادوا بأن مواقع التواصل الاجتماعي ساعدتهم على التواصل مع أصدقائهم القدامى والجدد، كما كشفت الدراسة عن أن أهم الأسباب لاشتراك الشباب في هذه المواقع هو أن" معظم الأصدقاء مشتركين فيه" وبنسبة (59%).

وأكدت دراسة جابر (2014) أن مواقع الشبكات الاجتماعية ساعدت الشباب على التفاعل المباشر مع أصدقائهم ومعارفهم، ومكنتهم أيضًا من إقامة علاقات إنسانية مبنية على الاهتمامات والأنشطة المشتركة، وذلك ما أثبتته دراسة كل من (صلاح الدين، 2011) و(عبدالرزاق،2011). فيما توصلت دراسة كمال (2011) إلى أن الشباب يستخدمون الفيس بوك للاتصال بأصدقائهم الحاليين في الجامعة وأيضًا للحفاظ على الصداقات القديمة. وبينت دراسة (الزيودي، 2015) أن دوافع الطلبة في جامعة طيبة للاشتراك في موقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) تكوين صداقات جديدة، والتواصل مع الأصدقاء الحاليين.

وبينت دراسة بريت (Brett, 2007) أن أهم أسباب إقبال الشباب على الفيس بوك دون غيره من مواقع الشبكات الاجتماعية هو البحث عن صداقات، وإضافة صداقات، وتعرف أصدقاء أصدقائهم، وقراءة صفحاتهم، وما كُتِبَ عليها من تعليقات، وتصفح صور أصدقائهم، وتحديث صفحاتهم من خلال إضافة صور شخصية، أو كتابة مقالات تعبر عن آرئهم. واتفقت دراسة فين هوف، وولمان، وهوجن (Veenhof &Wellman & Quell, and Hogan, 2008) مع الدراسة السابقة، حيث اثبتت أن الإنترنت يساعد الشباب الكندي على تعزيز أنشطة التواصل الاجتماعي مع الاصدقاء.

وبينت دراسة سكوت، وكابلن (Scott & Caplan, 2005) أن الكثير من الناس فقدوا التواصل الاجتماعي المباشر مع الآخرين بسبب كثافة استخدامهم للإنترنت، بل وأضافت أنهم وجدوا مميزات في التواصل الافتراضي عن التواصل المباشر؛ حيث إن التحكم في المحادثات الإلكترونية يكون أسهل من المحادثات المباشرة، كما أنهم يفضلون التواصل الافتراضي على التواصل المباشر. وقد أكدت دراسة ميشيل(Meshel ,2010) (أثر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على العلاقات الاجتماعية لدى الشباب في بريطانيا) على النتيجة ذاتها، حيث بينت أنَّ نسبة كبيرة من أفراد العينة اعترفوا بأنهم يقضون وقتاً أطول على الشبكة من الوقت الذي يقْضُونه مع أصدقائهم الحقيقيين، أو مع أفراد أسرهم.

وبالنظر إلى الدراسات السابقة العربية والأجنبية، يلاحظ اهتمامها وتركيزها على شبكات التواصل الاجتماعي ودورها في تكوين الصداقات، في حين لم يعثر الباحث على أي دراسة – عربية أو أجنبية – تتناول موضوع التغيرات الحاصلة على جماعة الرفاق (الصداقة) في ظل التطورات التي شهدتها المجتمعات في عالم اليوم، والتي تغيرت في شكلها ومضمونها، وهو ما تتناوله الدراسة الحالية في محاولة منها لدراسة هذا الواقع الجديد.

**مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:**

ما من شك في أن استعراض وبحث الأدوار المتجددة للمؤسسات التي تسهم في عملية تنشئة الشباب وتربيتهم، يكشف بوضوح ديناميات عملها، وأهدافها المتغيرة بتغير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مجتمع ما، وهي ضرورية كذلك لفهم مرحلة الشباب، وما طرأ عليها من تغيرات معاصرة نتجت عن التغير

البنائي الواسع النطاق الذي يشهده مجتمعنا الإنساني المعاصر. وفي ضوء هذه الحقيقة تحاول الدراسة إلقاء الضوء على إحدى هذه المؤسسات التي تسهم في إكساب الشباب لأدوارهم الاجتماعية والتربوية، وتسهم في تنشئتهم الأخلاقية والقيمية، وهي جماعة الرفاق، أو جماعات الصداقة كما يسميها البعض.

وفي هذا السياق، تشير الكثير من الأدبيات الكلاسيكية العربية إلى أن جماعة الرفاق تشكل وسطًا تربوياً مؤثراً على الفرد في مراحل حياته المختلفة، إذ تبدأ في مرحلة الطفولة في نطاق الأسرة، ومع تقدمه في العمر تتسع علاقات الفرد الاجتماعية بانضمامه إلى جماعات رفاق تتنوع بإشكالها وأحجامها وخصائصها ومستوياتها الثقافية والاجتماعية، مع ملاحظة أن هذه الأدبيات لم تتناول الشكل الجديد لجماعة الرفاق، والتغيرات الكبيرة التي طرأت عليها سواء في هيكلها، وأشكالها، وطبيعتها، وأدوارها التربوية في التنشئة الاجتماعية، فضلاً عن العوامل التي أدت إلى هذا كله.

وبناء على ما سبق، يرى الباحث أنه من الضرورة بمكان تناول مثل هذه القضايا الاجتماعية والتربوية بشكل يتواكب مع التغيرات السريعة والمتلاحقة التي طالت مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية كافة في المجتمعات العربية المعاصرة، وبالتالي فإن النظرة إلى القيم وطبيعة العلاقات، والمجتمعات ومؤسساتها يجب أن يعاد دراستها في سياقاتها الجديدة. وعليه، فإن الباحث يتجه في هذه الدراسة إلى معالجة هذه المشكلة من خلال الاجابة عن تساؤلات الدراسة الآتية:

- هل يمكن اعتبار جماعات الصداقة (الرفاق) الإلكترونية امتداداً لجماعة الرفاق التقليدية؟
- ما أبرز التغيرات الدينامية التي طرأت على جماعة الرفاق كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي المعاصر؟
- ما العوامل التي أدت إلى التغيرات الدينامية على جماعة الرفاق في المجتمعات العربية المعاصرة ودلالاتها التربوية؟

**أهداف الدراسة:**

تسعى الدراسة الحالية إلى:

١. التحقق من فرضية اعتبار جماعات الصداقة (الرفاق) الإلكترونية امتداداً لجماعة الرفاق التقليدية.

٢. تعرف أبرز التغيرات التي طرأت على جماعة الرفاق وتطورها في عالم اليوم المعاصر وما آلت إليه من تغيرات على صعيد الشكل والمضمون.
٣. رصد العوامل التي أدت إلى التغيرات الدينامية على جماعة الرفاق في المجتمعات العربية المعاصرة ودلالاتها التربوية.

**أهمية الدراسة:**

تتمثل أهمية الدراسة في كونها:

١. تُعدّ الدراسة الأولى من نوعها التي تبحث في دراسة التغيرات الثقافية والاجتماعية التي طرأت على جماعة الرفاق، بوصفها إحدى المؤسسات المعنية بالتنشئة والتربية. التي تتناول موضوع جماعة الرفاق وتطورها، وانتقالها من طور الشكل التقليدي (الكلاسيكي) إلى الشكل الإلكتروني، مع التأكيد على أن الدراسات العربية التي تناولت موضوع جماعة الرفاق عالجتها بشكل تقليدي، ولم تتناوله بالشكل المعاصر لها حسب علم الباحث.
٢. الإسهام في توفير خلفية نظرية مهمة للقائمين على رسم السياسات التربوية في المؤسسات المعنية بالشباب وفي تتبع ورصد التغيرات المؤثرة في تشكيل وعي الشباب العربي، وقيمهم، ومواقفهم تجاه الكثير من الظواهر الاجتماعية.
٣. تفتح الدراسة آفاقاً للباحثين في مجال أصول التربية تأخذ بالاعتبار الرؤية المعاصرة لمؤسسات التنشئة الاجتماعية في ظل التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والذي أدى إلى تغييرات جوهرية في طبيعة هذه المؤسسات وأدوارها ووظائفها.

**مصطلحات الدراسة:**

**- جماعة الرفاق:**

يعرفها الرشدان (2005) بأنها مجموعة من أفراد متساوين تقوم بينهم روابط طبيعية على قدم المساواة، وفقاً لميولهم، ويعبرون عن أنفسهم تعبيراً ذاتياً، إذ إنها تؤثر على سلوك أفرادها، فالعضو فيها يحب أن يخضع لمعايير الجماعة التي تحدد له نوع الاتصالات التي يمكن القيام بها.

**- جماعة الرفاق الإلكترونية:**

ويعرفها الباحث إجرائيًا بأنها جماعة الصداقات ذات الاهتمامات المشتركة، والتي تضم في عضويتها جماعات من الأشخاص يتم التواصل بينهم من خلال أي وسيلة اتصال إلكترونية مثل شبكات التواصل الاجتماعي، وغيرها.

**- التنشئة الاجتماعية:**

"عمليات تعلم وتعليم وتربية تؤدي إلى تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد وإدخال ثقافة المجتمع في بناء شخصيته وتحوّله من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي وتكسبه صفه الإنسانية". (شكور، 29:1998)

**- العلاقات الاجتماعية الإلكترونية:**

وتعرف بأنها "جميع أوجه الاتصال الإنساني التي تتم في المجتمع بين أبناء المجتمع الواحد، أو المجتمعات الإنسانية ككل، وتتم من خلال وسائل اتصال إلكترونية". (أبو الفتوح، وحلمي أبو زيد،2016)

**منهج الدراسة:**

استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي الوصفي، وهذا المنهج "يهتم بوصف الظواهر والأشياء والأحداث المعينة وصفاً دقيقاً يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة" (بدر، 1996: 228). وفي سبيل ذلك استعانت الدراسة بالعديد من الدراسات والأبحاث والتقارير المتخصصة ومن مصادر ومراجع مكتبية مختلفة ومواقع إلكترونية عديدة على شبكة الإنترنت تتعلق بموضوع الدراسة. وقد حاول الباحث من هذه المصادر والمراجع تحليل الأفكار ومن ثم ربطها مع بعضها بعضاً بصورة علمية منطقية تساعد في الوصول إلى نتائج وخلاصات تخدم الدراسة الحالية.

**الإجابة عن تساؤلات الدراسة:**

**التساؤل الأول: هل يمكن اعتبار جماعات الصداقة (الرفاق) الإلكترونية امتداداً لجماعة الرفاق التقليدية؟**

جرت العادة أن يختار الأطفال رفاقهم من جيرانهم الأقربين، أو من رفاق المدرسة، بسبب صغر دائرة معارفهم الاجتماعية، أما عندما يكبرون، وخاصة في مرحلة المراهقة، فإن دائرة البحث عن الصداقة تتسع أكثر، فيبدأوا باختيار رفاقهم من الذين يشاركونهم في اهتماماتهم وأذواقهم وميولهم، بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى. (أبو زويد، 2010)

وعادة ما يحرص الفرد على أن يجد مجموعة يتصل معها ممن يقاربونه في السن، والميول، والطموحات، وهو المبدأ الذي تقوم عليه جماعة الرفاق؛ فهي تتكون من أعضاء يتعاملون مع بعضهم على أساس المساواة في العمر، وفي المكانة

الاجتماعية. (أبو لباد، 2007) كما أن الصداقة توفر للطفل الفرصة لممارسة مهاراته الاجتماعية مع أقرانه، وتخفض لديهم مشاعر الوحدة، وتزيد من مشاعر السعادة، وتقدير الذات.(Lenhart & Madden, 2010)

وعلى سبيل المقاربة، يمكن القول أيضا إن الصداقات الإلكترونية على شبكات التواصل الاجتماعي باتت تشكل شبكة من الدعم الاجتماعي والانفعالي للشباب، فهي تساعدهم على الاستقلال وممارسة أدوارهم، وتشبع حاجاتهم، لأنهم يجدون من يستحسن آرائهم واتجاهاتهم، وبخاصة في بدايات مرحلة المراهقة، فهم في هذه المرحلة بحاجة إلى الانتماء إلى جماعة من الرفاق يتوافق مع سلوكهم، ومظهرهم، ويحتكم إلى معاييرهم أكثر من احتكامه لمعايير أسرته.

وتؤكد بعض الدراسات (مزيد، 2012)، (عطوان، وعباس، 2015) أن استخدام وسائل الاتصال على شبكات التواصل الاجتماعي أسهمت في تشجيع تكوين الصدقات لبعض الفئات الاجتماعية مثل الأشخاص الخجولين، وكبار السن، والمعاقين، والنساء، إذ يمكنهم التواصل مع الآخرين وتكوين صداقات من الصعب تحقيقها عن طريق الاتصال الشخصي وجهاً لوجه، متجاوزين حالات القلق والخوف والخجل عند اللقاء الأول، ويشعرون بالارتياح أثناء هذا اللقاء، نظراً لوجود تجربة سابقة في التعامل وتبادل الأفكار، مما يشجع هذه الفئات على التواصل. وغالباً ما يتحول التواصل عبر الإنترنت إلى تواصل على أرض الواقع بعد أن تقوى العلاقة.

وفي هذا الإطار يذكر مزيد (2012) أن قوّة العلاقات الافتراضيّة تتوقف على أساس الخلفيّة المُشتركة في العالم الواقعي (common background) من اهتمامات وهوايات وميول مُشتركة، فمواقع التواصل الاجتماعي، مثلاً، تضم أفراداً من خلفيّات مشتركة غالباً (علميّة، مهنيّة، تجاريّة،..إلخ)، فمثلاً قد تنشأ تجمّعات افتراضيّة حول قضيّة أو "نجم" من نجوم الفنّ، أو الرياضة، أو حول مفكّر، أو عالم، أو شخصيّة سياسيّة. وحول تكوين الصداقات (يضيف): أنها في المجتمعات الافتراضيّة تقوم في مجملها على الاختيار، بعكس المجتمعات الواقعية التي تقوم على الجبر والإلزام بحكم صلة القرابة أحياناً، أو الجيرة، أو الزمالة، فلا يستطيع أحد ما قبول صداقة غيره عنوة.

وفي سياق الإجابة عن تساؤل الدراسة الأول، لابد من استعراض طبيعة وظائف جماعة الرفاق التقليدية التي تناولتها الأدبيات المتعلقة بهذا الموضوع؛

لنعرف ما إذا كانت هي ذاتها، أو بعضها ينطبق على جماعات الصداقة (الإلكترونية) التي تتم عبر مواقع التواصل الاجتماعي، والتي هي في الغالب تُعد امتداداً لصداقات الواقع، وتالياً أبرزها:

١. الضبط الاجتماعي لأعضاء المجموعة، "إذ تمارس جماعة الرفاق التقليدية نوعاً من الضبط الاجتماعي على أعضائها، فالعضو الذي لا يمتثل لمعايير الجماعة ينبذ، أو يتعرض للسخرية، أو يُهدد من قبل الجماعة، مع وجود نوع من التسامح والتجاوز، وقد يكافأ العضو الذي يمتثل لأوامر الجماعة ومعاييرها". (أبولباد، 2004: 34)
٢. المشاركة الوجدانية في الميول والاتجاهات، كأن يميل عضو من أعضاء جماعة الرفاق إلى آخر بسبب الاهتمام بموضوع ما، أو أن يتشكل لدى أحدهم اتجاهاً إيجابيًا، أو سلبياً بتأثير عضو آخر. (Stephen, 1989)
٣. تتيح لأعضائها فرصًا لتوسيع آفاقهم الاجتماعية وإنماء خبراتهم واهتماماتهم. (صوالحه، وحوامده، 1994)
٤. تمنح جماعة الرفاق لأعضائها القوة والنفوذ، وتسندهم في سلوكهم، وتؤكد ذواتهم واتجاهاتهم.
٥. توفر لهم قدرة على حل مشكلاتهم.
٦. تسهم في تعليم الفرد المهارات الاجتماعية والقيم والمعايير، واكتساب الأدوار الاجتماعية وتكوين الدوافع والاتجاهات ومفهوم الذات.(أبو لباد، 2004)
٧. تكسب أعضاءها الاستقلالية والاعتماد على النفس بعيداً عن سلطة الكبار. (الخطيب، ومتولي، وعبدالجواد، والغبان، والفزاني، 2005)

وبالنظر إلى خصائص جماعه الرفاق التقليدية السابقة ووظائفها، وبالمقارنة مع الشكل الجديد لهذه الجماعة، يمكن عرض الحقائق التالية التي تبين مدى انطباق ما سبق، إلى حد كبير، على جماعات الصداقة الإلكترونية:

١. جماعة الصداقة الإلكترونية لديها ضبطاً اجتماعياً لأعضائها، وتطبيقاً لمبادئ الثواب والعقاب داخل مجموعات الصداقة في الشبكات الاجتماعية، إذ يتم استبعاد بعض الأعضاء إذا ما خرجوا عن القواعد المتعارف عليها (غالباً ما تكون دينية، اجتماعية، سياسية،..إلخ)، وفي بعض الأحيان يتم الرد على من يخالف هذه الضوابط بقسوة من خلال التعبير الكتابي، أو عبر الصور التعبيرية

التي تعبر عن الرفض، أو الاستهجان، وكذلك يتم الثواب بعبارات وإشعارات تعبر عن ذلك أحياناً.

٢. وفيما يتعلق بالمشاركة الوجدانية، فيمكن القول إن هذه الصداقات تبنى أساسا على اتجاهات وميول ومشاعر وهوايات معينة، وإن أخذت شكلاً مرئياً مختلفاً عن السابق، وأشارت بعض الأدبيات إلى أن "بعض علماء الاجتماع يرون في الصداقة والتعارف الإلكتروني أنها تجعل الصداقة متينة وقوية، وأكثر صراحة، وتوفر شروط جيدة لاختيار الأصدقاء. (أبو الفتوح، وأبو زيد، 2016)

٣. وفي جانب توسيع آفاق أعضاءها وإنماء خبراتهم واهتماماتهم، فهي تحقق هذه الميزة وبقوة بحكم الدعم المعلوماتي على الشبكة، وبسبب توسع الآفاق الاجتماعية، ونماء الخبرات للفرد المعاصر عما كان عليه سابقاً، فكم المعلومات والأخبار المتاح للجميع دون استثناء هائل جداً يتم تبادله على مدار الساعة.

٤. بالنظر الى القوة والنفوذ وتأكيد الذات، فهي ميزة تتوافر فيها وبقوة، حيث إن الصداقة عبر شبكات التواصل الاجتماعي تمنح الأفراد المشاركين الثقة بالنفس، والقوة وتأكيد الذات.

٥. بالنسبة لوظيفة حل المشكلات، إذ يلجأ الكثير من الأفراد لعرض مشكلاتهم على أصدقائهم في هذه المجموعات، فيبادر الأعضاء للمشاركة، واقتراح الحلول، وعرض التجارب حيث اشارت بعض الأدبيات (أبو الفتوح، وأبو زيد، 2016) إلى أن الصداقة الإلكترونية تساعد على توسيع الأفق لدى جميع الأعمار، بما يسهم في تنمية الشخصية الإنسانية من خلال تبادل الخبرات، هذا فضلاً عما تتيحه من معرفة الأشخاص والمحيطين بشكل أفضل، الأمر الذي يساعد الفرد في حل كثير من المشكلات والتعايش مع المجتمع وفهم العالم.

٦. أما فيما يتعلق بإسهام جماعة الرفاق التقليدية بتعليم الأفراد القيم والمعايير وتكوين الاتجاهات، فهذا الأمر، وإن اختلف نوعا ما عن جماعة الرفاق التقليدية، فيبدو توافره أيضا بهذه الجماعه. لكن يمكن القول إن القيم والمعايير والاتجاهات الاجتماعية في الماضي، والتي كانت تحكم جماعة الرفاق التقليدية، تغيرت الى حد ما، بحكم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي شهدتها

المجتمعات العربية – مع استمرار بعضها لدى الافراد المحافظين – فما كان يعتبر عيباً، أو منتقداً في الماضي، أصبح شيئا عاديا في ضوء مقاييس شباب اليوم.

٧. بالنسبة لميزة الاستقلالية والاعتماد على الذات بعيدا عن الأسرة التي توفرها جماعة الرفاق لأعضائها، فهي ميزة أيضا تؤكدها وبقوة جماعات الصداقة الإلكترونية حيث يمكن للفرد أن يكتب ويعبر عما يشاء، ويشارك بما يشاء بعيداً عن تدخلات الوالدين، أو الأسرة في داخل البيت، أو خارجه. ويشير الشكل (1) إلى وظائف جماعة الرفاق.

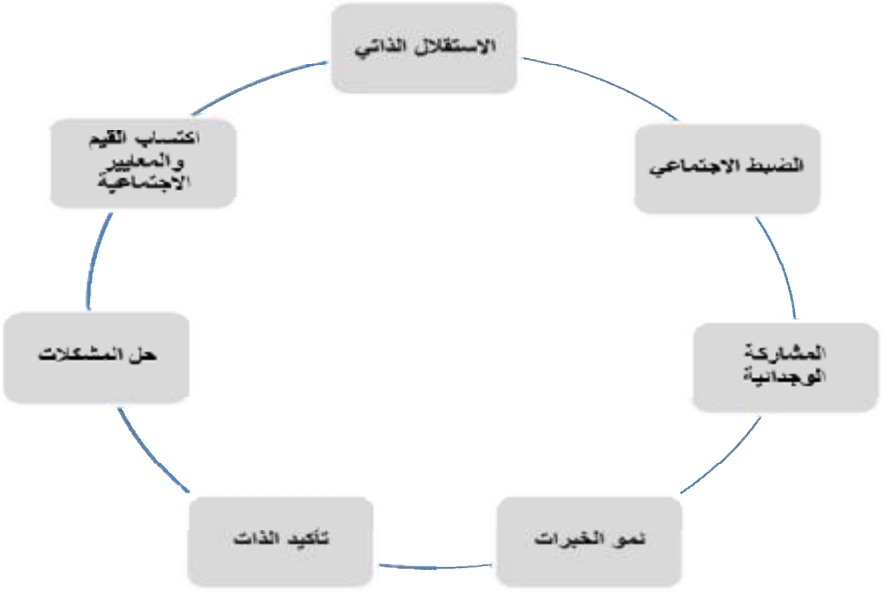


**الشكل (1): وظائف جماعة الرفاق**

مما سبق، يتضح صحة فرضية اعتبار جماعات الصداقة (وهي ما سماها الباحث جماعة الرفاق الإلكترونية) على شبكات التواصل الاجتماعي امتداداً لجماعة الرفاق التقليدية، (وليست بديلاً لها)، فهي أخذت شكلاً جديداً بعد تغير البيئة المحيطة بهذه الجماعة، واعتماد الأفراد على التكنولوجيا في الاتصال والتواصل بشكل أكثر اتساعاً من الاتصال الحقيقي.

**التساؤل الثاني: ما أبرز التغيرات الدينامية التي طرأت على جماعة الرفاق كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي المعاصر؟**

وللإجابة عن هذا التساؤل، يتناول الباحث تالياً ملامح هذه التغيرات وفق عناصرها الأساسية، التي طرأت على جماعة الرفاق، والتي يعتقد أنها تنساق على عموم المجتمعات العربية، مع الأخذ بعين الاعتبار التفاوت الزمني البسيط فيما بينها في اللحاق بركب تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

- **السياق المكاني:**

من المتعارف عليه أن السياقات المكانية لنشاط جماعات الرفاق في الماضي كانت تتم في إطار جغرافي محدد، فهي تتم إما في نطاق الحي، والمدرسة، وفي حالات ضيقة كانت تتم في نطاق الأندية، أي أنها غالباً ما تكون ضمن نطاق وحيز مكاني – جغرافي محدد.

أما في عالم اليوم فإن السياقات المكانية لنشاطات جماعات الرفاق تغيرت تماماً، فهي تتم في أي مكان يمكن تخيله، فلا مكان محدد يلزمها للتواصل والتفاعل مع بعضها (يسميه الباحث سياق اللامكان) طالما أن أدوات التواصل والاتصال تحمل بالأيدي لتحل وترتحل مع أصحابها. ويمكن القول إنها أصبحت الآن على مستوى العالم، ولا أدل على ذلك من جماعات الصداقة على الفيس بوك، على سبيل المثال، وغيرها من شبكات التواصل الاجتماعي التي تضم في عضويتها أفراداً من جميع أنحاء العالم.

- **السياق الزماني:**

قديماً كانت المساحات الزمنية المتاحة للقاء جماعات الرفاق تتم في إطار وقت الدوام المدرسي، ومن ثم تستكمل في فترة ما بعد الظهر إلى المساء في إطار الحي، وبعدها تبدأ تدخلات الأهل (الأسرة) لضبط الأبناء وإجبارهم للعودة لمنازلهم وينتهي التفاعل في إطار هذه الجماعة عند هذا الحد، بمعنى أن السياق الزمني للقاء جماعات الرفاق كان محكوما زمنياً بشكل دقيق. لكن، ومع مرور الزمن، تلاشت الحدود الزمنية الحاكمة للقاء هذه الجماعات وتفاعلاتها، فهي تتم حالياً في أي وقت، طالما أن أدوات التواصل متاحة، وكل ما في الأمر هو توفر شبكة اتصال على الإنترنت، وجهاز اتصال ذكي، سواء أكان هاتف محمول، أم جهاز كمبيوتر،.. إلخ.

- **السياقات العلائقية (الجندرية):**

تغيرت طبيعة الاتصالات البنيوية والتوسع العلائقي بين أعضاء جماعة الرفاق، حيث يلاحظ توسع أنماط الاتصال الجنسوي بين أعضاء هذه الجماعات

بفضل تطور تكنولوجيا الاتصال، ففي السابق كانت عضوية جماعة الرفاق تقتصر على جماعات الذكور وجماعات الإناث وبشكل مستقل لكل جماعة عن الأخرى، وتعتبر هذه الضوابط من القوانين الإلزامية ذات الخطوط الحمراء التي لا يمكن تجاوزها في مجتمعاتنا العربية المحافظة، وإن تم تجاوزها فالعقوبات المغلظة تطبق غالباً، وبشكل حاسم على من يتجاوزها.

وبالنظر إلى طبيعة دائرة العلاقات في إطار جماعة الرفاق الحديثة (الإلكترونية)، فقد أصبحت أكثر اتساعاً، وامتداداً، فلا مشكلة لديهم إن كان له صديقة، أو لها صديق على الفيس بوك، أو في أحد مجموعات الصداقة على شبكات التواصل الاجتماعي الأخرى، طالما أن اللقاء والتفاعل يتم بشكل غير حي ومباشر، رغم إمكانية تبادل الصور والفيديو، وفي الكثير من الحالات يمكن إجراء المحادثة المباشرة من خلال الاتصال بالصورة والصوت من خلال بعض التطبيقات الإلكترونية المجانية، والتي تتم في الغالب بعيداً عن رقابة الأهل، مع ملاحظة قدرة الأولاد التكنولوجية المتفوقة على اخفاءها بسهولة عن عيون الأهل، مما أدى إلى مشكلات اجتماعية وتربوية خطيرة جداً، كتغير العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة، وخارجها.

- **التفاوت العمري:**

في الماضي كان يشترط التوافق العمري في عضوية هذه الجماعات، ولا يقبل في عضويتها من هم أصغر عمراً، أو أكبر، وغالباً ما يتدخل الأهل في هذا الأمر، إذ يمنعون أبنائهم من اللعب، أو مخالطة الأصغر سناً منهم، أو الأكبر سناً، حتى أن جماعة الرفاق ذاتها تقر وتتقيد بمثل هذا الشرط. (أبو لباد، 2007)

أما في حالة جماعة الرفاق الإلكترونية فالأمر مختلف تماماً، فالفئة العمرية في مثل هذه الجماعات متفاوتة، وإلى حد مذهل أحياناً، وفي الغالب فإن مسألة العمر لا يتم الاعلان عنها، أو الاعتراف بها بشكل صريح ومعلن، فباستطاعة أي شخص أن يكتب ما يشاء عن عمره، ولذلك قد يصدف أن بعض الأطفال يدخل في مثل هذه المجموعات، وبأسماء مستعارة أحياناً، على اعتبار أنه طالب في الثانوية، أو الجامعة...إلخ.

- **التفاوت الطبقي:**

إذ تشير الأدبيات إلى أن جماعة الرفاق التقليدية يغلب عليها الالتزام بالمعايير الطبقية إلى حد كبير، حيث أشار كل من (العادلي، 1981، أبولباد، 2004) إلى أن الآباء يتدخلون أحياناً في الجماعة التي يلعب معها طفلهم، وهو تدخل قائم على أساس من تقييمات ترجع إلى الطبقة الاجتماعية، أو الفروق الفردية. وإذا ما نظرنا إلى هذا المعيار في جماعات الرفاق الإلكترونية نجد أن هذا المعيار لم يعد قائماً إلى حد كبير، فمن الممكن أن تضم الجماعة أعضاء بينهم تفاوت طبقي كبير.

- **طبيعة الموضوعات المتبادلة:**

من المتعارف عليه، كما تشير بعض الأدبيات التي تناولت جماعة الرفاق (أبولباد، 2007) أن طبيعة الموضوعات المتبادلة بين جماعات الرفاق التقليدية (الكلاسيكية) تنحصر إلى حد كبير وفق الطبيعة الجندرية لأعضاء الجماعة. فالموضوعات المتبادلة ضمن جماعات الرفاق الذكورية تتناول موضوعات، مثل: اللعب، والرياضة، والترفيه، والدراسة، والسيارات،..إلخ. وفي جانب جماعات الرفاق الأنثوية فهي تدور ضمن سياقات مختلفة غالباً ما تتعلق باهتماماتهن، كاللعب، والأزياء،.. لكن من الصعب التكهن بطبيعة الموضوعات المتبادلة بين أعضاء هذه الجماعات الآن من الجنسين، لكن يمكن القول: إنها قد تشمل موضوعات في عالم الفن والموسيقى، والرياضة، والجنس، والترفيه، والسياسة، والدين، والأزياء، وأجهزة الترفيه التكنولوجية وموديلاتها...إلخ.

- **السلطة الرقابية:**

عادة ما تخضع جماعة الرفاق التقليدية في المجتمعات العربية لسلطة إشرافية ورقابية، سواء أكان ذلك في نطاق الأسرة، أم المدرسة، وغالباً ما تكون رقابة عينية حسية صارمة ومحكمة يتم فيها مراقبة هذه الجماعة، من حيث زمن اللقاء، ومكانة، وعضويته.

وبالنظر إلى جماعة الرفاق الجديدة (الإلكترونية) فيلاحظ تحول هذه الرقابة إلى رقابة الكترونية أو(لا رقابة)، ففي بعض الحالات يقوم الأهالي بمحاولة تتبع نشاطات الأبناء في تواصلهم مع الآخرين، لكن سرعان ما يستسلمون، إما لعدم قدرتهم من الناحية التقنية، أو لرفض الأبناء لهذه الرقابة ورفض تدخلاتهم في خصوصياتهم.

- **قنوات الاتصال:**

نمط الاتصال السائد لدى جماعات الرفاق التقليدية كانت اتصالات مباشرة (Face to face) حيث كانت تتم في إطار المدرسة، أو الحي، ومع تطور الحياة، ودخول وسائل الاتصال ذات التكنولوجيا المتقدمة تطورت قنوات الاتصال لجماعات الرفاق لتتحول إلى الاتصال الالكتروني عن بعد، وخصوصا تلك التي تتم عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

- **من جماعة واحدة إلى جماعات متعددة (Groups):**

ففي الماضي كانت جماعة الرفاق التقليدية تقتصر في الغالب على جماعة واحدة، سواء في إطار المدرسة (جماعة الرفاق المدرسية)، أو في الحي (جماعة رفاق الحي) وفي بعض الحالات تكون جماعتين منفصلتين. ومع مرور الزمن، ومن ضمن التغيرات والتطورات التي شهدتها هذه الجماعة، يلحظ انتماء الفرد إلى جماعات صداقة إلكترونية متعددة (Groups)، قد تصل في بعض الأحيان إلى ما يزيد عن خمس جماعات صداقة إلكترونية، أو أكثر، فقد يشترك الفرد، على سبيل المثال، في جماعة صداقة تختص بالأقارب، أو رفاق الدراسة، أو رفاق الحي من الجيران، أو غيرها.

- **الأطر الثقافية المرجعية الحاكمة:**

غالباً ما تخضع جماعة الرفاق التقليدية لأطر ثقافية محلية (عربية واسلامية) كمرجعيات ثقافية حاكمة وضابطة، لكن سرعان ما تغيرت هذه الأطر الثقافية المرجعية الحاكمة الى أطر عالمية (معولمة)، إن جاز التعبير، حيث تتنوع مرجعياتها الثقافية متجاوزة المحلي إلى العالمي. ويلخص الشكل(2) التغيرات التي طرأت على جماعة الرفاق بين الماضي والحاضر.

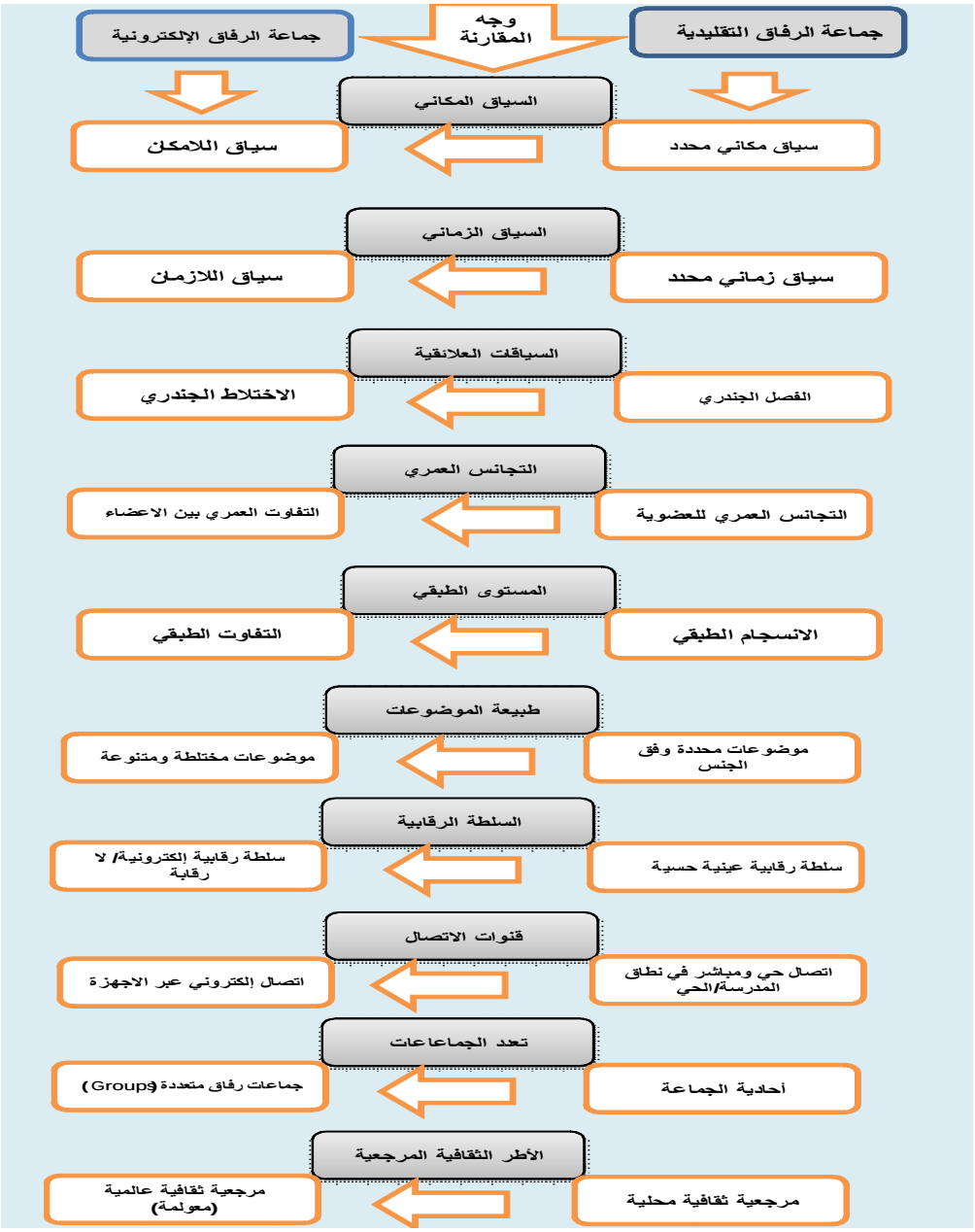


**الشكل (2): التغيرات التي طرأت على جماعة الرفاق بين الماضي والحاضر**

**التساؤل الثالث: ما العوامل التي أدت إلى التغيرات الدينامية على جماعة الرفاق في المجتمعات العربية المعاصرة ودلالاتها التربوية؟**

للإجابة عن هذا التساؤل، قام الباحث بإجراء مسحاً للأدب التربوي النظري ذو الصلة بموضوع الدراسة، إذ تبين أن هناك ثمة عوامل شكلت تحديات كبيرة للمجتمعات العربية، والتي أسمهت في التغيرات الدينامية على جماعات الرفاق، وتحولها بالتالي من الشكل التقليدي (الكلاسيكي) إلى شكل جماعات رفاق إلكترونية.

ويُعد عامل الاعلام وتكنولوجيا الاتصال هو الأبرز في التغيرات التي طرأت على جماعة الرفاق المعاصرة شكلاً ومضموناً، إذ باتت وسائل الإعلام والاتصال الحديثة تمارس دوراً متعاظماً في عملية التنشئة الاجتماعية في العصر الحالي؛ فهي بمثابة الينابيع الأساسية التي يرشف منها الناشئة القيم الاجتماعية والعادات والاتجاهات والأنماط السلوكية حسنها وسيئها.

وعلى الرغم من الاعتقاد السائد بأن وسائل الإعلام تمثل أداة من أهم أدوات التنشئة الاجتماعية، توجد نزعة فكرية أخرى تقول: إن "وسائل الإعلام تمارس عملية تشويش على عملية التنشئة الاجتماعية، وتعيق حركتها، وهو ما يعرف بظاهرة اللاتنشئة (Anti Socialization)، فوسائل الإعلام في إطار هذا المنظور تؤدي إلى تفكيك الحياة الاجتماعية للعائلة العربية المعاصرة. وباختصار ينظر إلى وسائل الإعلام بوصفها أدوات معادية للثقافة. ولكن وسائل الإعلام لا تمارس دورها ووظيفتها بشكل مستقل عن وكالات التنشئة الاجتماعية الأخرى، وبالتالي فإن التأثير السلبي الذي يمكن أن تمارسه على الثقافة مرهون إلى حد كبير بوجود عيوب في المؤسسات الاجتماعية الأخرى، كالأسرة والمدرسة على سبيل المثال". (وطفه،1993: 228)

كما يمكن القول: إن تكنولوجيا الاتصال، اللامتناهية في تطورها، مثل تطبيقات الفيس بوك (Facebook)، وتويتر (Twitter)، والواتس أب ( Wats Up واليوتيوب (Youtube)، ومواقع الدردشة (chat Sites) تُعد بمثابة الأدوات الجديدة التي غيرت طبيعة الاتصالات البنيوية بين أعضاء جماعة الرفاق، إذ طال ذلك طبيعة الاتصال والتفاعل بينها، مما أدى بشكل لافت إلى سهولة الاتصال والتواصل والتفاعل بين أعضاء هذه الجماعة متجاوزة محدداتها الزمانية والمكانية وحتى الرقابية، وهو ما أتاح لها أيضاً سهولة تبادل المعلومات، فضلا عن تغير قوالب المعلومات والبيانات المتداولة بين أفراد هذه الجماعة، حيث تقدم بقوالب غاية

في الإغراء والجاذبية، مما ساعد في قوة تأثيرها على النسق القيمي للشباب في هذه المجموعات.

إن الجديد في رحاب شبكات التواصل الاجتماعي "انتظام أفراده، أو جماعاته الافتراضية المتشكلة من أجيال، وهويات مختلفة في عضوية غير مكتفية بعدد محدد، وتتوالد باستمرار. يبدأ المجتمع المحلي بجماعة اجتماعية صغيرة، ويتزايد في عدده حتى يصل إلى مئات، وألوف، ليشكل ما يعرف بالمجتمع الافتراضي. وتوصف كينونة هؤلاء على شكل عقدة (Node) ضمن دائرة اتصالية دقيقة، تلم شتات الكل ضمن البيئة التي يشتركون بالعيش فيها جميعا، هؤلاء لا ينظمهم وعي أحادي، أو منغلق على تصورات مسبقة، إنما وعي جديد بالمرحلة المعاشة بكل ملابساتها، وتقلب وجوهها، وعي يستجيب لتلك التقلبات فيعمل على تضمين إجابات محتملة قابلة للتعديل والتحديث باستمرار عبر فتح متوالية غير منقطعة من الفرضيات التي تنشطها الموضوعات التشاركية وثيقة الصلة بحياتهم الاجتماعية والسياسية والدينية". (فرانك، 2000)

وتعد مواقع الشبكات الاجتماعية وسيلة للتواصل والتقاطع بين العالمية والمحلية، إذ إن الفكرة الأساسية التي تقوم عليها الشبكات الاجتماعية هي عالمية الاهتمامات ومحلية المردود، وتتلخص المتغيرات الاجتماعية لشبكات التواصل الاجتماعي في محورين؛ يتمثل المحور الأول: في تكوين الصداقات، حيث سهلت الشبكات الاجتماعية من تكوين الصداقات، إذ تجمع الشبكات بين الصداقات الواقعية والصداقات الافتراضية، والفرضية الأساسية التي تتواكب مع تكوين الصداقات هي مشاركة الاهتمامات، فقد نجحت الشبكات الاجتماعية في الجمع بين أصحاب الاهتمامات عبر الفضاء المعلوماتي. بينما يتمثل المحور الثاني: في عضوية الجماعات، حيث سمحت الشبكات الاجتماعية أن تجمع في طياتها الجماعات الاجتماعية ذات الاهتمامات المتجانسة، ومن الممكن أن تؤسس هذه الجماعات بين أفراد المجتمع المحلي، أو يتم الاشتراك فيها على مستوى الصعيد العالمي.

كما تعتد العولمة كأحد العوامل المسببة للتغيرات التي طرأت على جماعة الرفاق، إذ تشير الكثير من الأدبيات في هذا المجال إلى أن العالم اليوم في ظل العولمة يعيش في إطار مناخ جديد تهتز على ساحته أكثر التقاليد رسوخاً وتنهار في سياقه أكثر المؤسسات عراقة، وهذا يعني أن الثبات انسحب من مسرح الحياة وأن

الدينامية هي القاعدة، وأن التغير هو المنطلق الذي يتخلق من خلاله هذا العالم. (ليلة، 1995: 48)

وتواجه المجتمعات العالمية المعاصرة – ومنها المجتمعات العربية– نمطي التماثلية والعمومية نتيجة لذوبان الحدود الثقافية، مما يجعل التشابك بين الثقافات عاملاً رئيساً في انهيار حواجز الخصوصية في جوانبها السلبية، والتي من أهمها ضياع النكهة الخاصة لكل ثقافة، وظهور ثقافة هجينة من مختلف الأبعاد لا تدل على ماض ولا تقود إلى مستقبل. (الفوزان، 2007)

لقد باتت العولمة الثقافية من العوامل المؤثرة على جماعة الرفاق وأدوارها في عملية التنشئة؛ إذ يعيش الشباب العربي حالة من التناقض بين ما يعرفه عن ماضيه، وما يشاهده في حاضرة، مما تسبب في حدوث الاضطرابات المعيارية والمشكلات الاجتماعية الناجمة عن ذوبان الهوية الثقافية التي تؤدي إلى صعوبات جمة في أدوارها في التنشئة الاجتماعية وتجعلها عاجزة عن صياغة وحدة المجتمع، إذ يواجه الشباب فيها إشكالية الفرد والجماعة، والمحلي والعالمي، مما يجعل ازدواجية المعايير والقيم ظاهرة ملاحظة لدى الشباب العربي والمسلم في عالم اليوم.

كما يعد تراجع أدوار المؤسسات التربوية في مهمة التنشئة الاجتماعية للشباب من العوامل التي سببت التغيرات التي مست جماعة الرفاق حيث إن أفرادها من الشباب، سواء من الدارسين في المدارس، أو في الجامعات، فلم يعودوا يعدونها المصدر الوحيد للمعرفة والمعلومات والثقافة، حيث اتجهوا إلى مصادر متباينة ومتنوعة أكثر جاذبية وتشويقاً، فوجدوا ضالتهم في الإعلام وشبكات المعلومات (الإنترنت)، والبرمجيات الحاسوبية المختلفة.

ومع هذا الوضع الجديد المتمثل بقيام نظام تربوي ضوئي إلكتروني سمعي وبصري، فلم يعد المنهاج المصدر الوحيد للمعرفة، ولم يعد كذلك المعلم السلطة الضابطة، ولا المثال الذي يحتذى به، حيث إن سلطة الصورة بما تحمله من رموز ودلالات (رموز الفن والرياضة) ذات المضامين الثقافية والقيمية أصبحت بمثابة النموذج المثالي الذي يقتدى به في عيون هؤلاء الشباب من الجنسين.

وإذا ما تأملنا الظروف التي طالت الأسرة العربية المعاصرة والتي تشكل أحد العوامل الهامة في تحول جماعة الرفاق من شكلها القديم إلى شكلها الحالي، فقد شهدت الأسرة العربية المعاصرة مزيداً من التفكك وضعف الروابط الأسرية والتواصل الأسري؛ بسبب تراجع سلطة الوالدين في السيطرة على ضبط سلوك الأبناء، والشباب

منهم على وجه الخصوص بسبب انشغالهم – الوالدين – بالعمل واللهاث وراء لقمة العيش وتوفير متطلبات الأبناء الكمالية والترفيهية، بسبب تزايد سطوة النزعة الاستهلاكية لدى الشباب هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أسباب ضعف التواصل الأسري يتعلق بالأبناء أنفسهم، حيث يقضي الأبناء الساعات الطوال في متابعة الفضائيات والجلوس أمام شاشات الحاسوب لتصفح الإنترنت، أو الجوالات التي تحتوي في الغالب على الألعاب والأغاني والأفلام، وهي الحالة التي أطلق عليها فيراروتي (Ferrarotti) اسم (نهاية المحادثة).

كما أن الأسرة العربية المعاصرة باتت عاجزة عن تحديد طبيعة رفقة أفرادها نظراً لاتساع نطاق علاقاتها وحدودها، وقدرة الأبناء على التحرر من رقابتها، لكون هذه الرقابة انتقلت من شكلها التقليدي (العياني المشاهد) إلى الرقابة الإلكترونية، والذي في الغالب تعجز الأسرة عن ممارسته، أو فرضه.

إضافة لما سبق، إن المثل والمعايير التي نشأ عليها الأبناء من الاجيال الجديدة تختلف كثيرا عن تلك التي يواجهونها في واقع الحياة الاجتماعية المعاصرة، فيضطرون إلى هجر تلك المثل والمعايير والتمرد عليها، ويرى وطفة (1995: 63) أن "التفاوت بين ثقافة جيل الشباب، وثقافة جيل آبائهم هو أحد أسباب الصراع القيمي، إذ يقول: "وينبع ذلك الصراع من وجود نظامين إدراكيين لحضارتين مختلفتين، هما: حضارة الكتابة، وحضارة الشاشات الضوئية. إن أزمة الشباب وأزمة القيم التي يعيشونها ناجمة عن عدم تكيف نمط الإدراك الضوئي مع نمط الإدراك الخاص بالكتابة والمدرسة".

وبالنظر إلى نتيجة تساؤل الدراسة الثالث، يلاحظ أن هذه العوامل، تشكل الدور الأكبر في التغيرات التي شهدتها مؤسسات التنشئة التقليدية في المجتمعات العربية، وأدت إلى تراجع أدوارها ومهامها في التنشئة الاجتماعية، وكما ألقت بظلالها على الشباب، فخلقت جواً اجتماعياً ونفسياً أثر سلباً على تنشئتهم وتكوين شخصياتهم وجوهر ثقافتهم، كما أدى هذا كله إلى تغيراً في طبيعة جماعة الرفاق المعاصرة، ويلخص الشكل (3) العوامل المسببة لانتقال جماعة الرفاق من النمط التقليدي (الكلاسيكي) إلى النمط الإلكتروني.

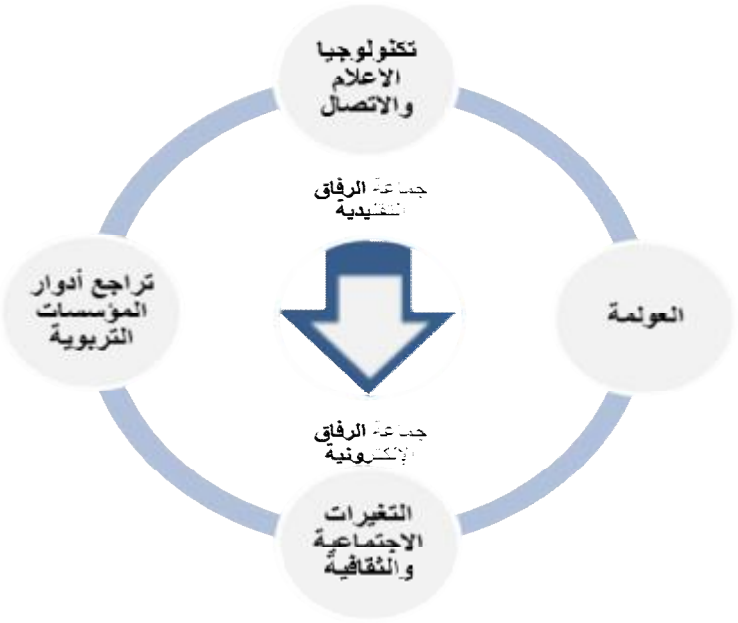


**الشكل: (3)**

**العوامل المسببة لانتقال جماعة الرفاق من النمط التقليدي إلى النمط الإلكتروني**

**استنتاجات الدراسة:**

- جماعة الرفاق (الصداقة) الإلكترونية عبر شبكات التواصل الاجتماعي هي امتداد لجماعة الرفاق التقليدية، بسبب تطور وسائل الاتصال والتواصل، وهي تقوم بنفس الوظائف والأهداف والسمات مع بعض الاختلافات.
- تحول السياقات المكانية لنشاطات جماعات الرفاق من السياق المكاني المحدد (المحلي) إلى السياق العالمي، أو (سياق اللامكان).
- تلاشي الحدود الزمنية الحاكمة للقاء وتفاعلات جماعات الرفاق، وتحول السياق الزمني من المحدد زمنياً إلى سياق مفتوح زمنياً، أو (سياق اللازمان).
- توسع دائرة العلاقات في إطار جماعة الرفاق الإلكترونية، حيث أصبحت مشتركة بين الجنسين، بعدما كانت مفصولة (جندرياً).
- التحول من شرط التوافق العمري في عضوية هذه الجماعات، فأصبحت تضم رفاق من فئات عمرية متفاوتة إلى حد كبير.

- جماعة الرفاق التقليدية يغلب عليها الالتزام بالمعايير الطبقية لعضويتها، أما جماعات الرفاق الجديدة (الإلكترونية) فمن الممكن أن تضم أعضاء بينهم تفاوت طبقي كبير.
- تشمل الموضوعات المتداولة بين جماعات الرفاق الجديدة (الإلكترونية) موضوعات في عالم الفن والموسيقى، والرياضة، والجنس، والترفيه، والسياسة، والدين، والأزياء، وأدوات الترفيه التكنولوجية وموديلاتها.
- تحول السلطة الرقابية الوالدية على جماعة الرفاق في المجتمعات العربية من رقابة عينية حسية صارمة من حيث زمن اللقاء، ومكانة، وعضويته إلى رقابة الكترونية أو حالة (العجز الرقابي).
- تغير قنوات الاتصال لجماعات الرفاق لتتحول إلى الاتصال الالكتروني (غالبا عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي).
- جماعة الرفاق التقليدية كانت تقتصر في الغالب على جماعة واحدة، أو جماعتين منفصلتين، (رفاق المدرسة، أو الحي)، لتصبح جماعات صداقة إلكترونية متعددة.
- تحول الأطر الثقافية المرجعية الحاكمة لجماعة الرفاق الحديثة من المحلية إلى مرجعيات ثقافية عالمية، أو (معولمة).
- تعد كلا من: ثورة الإعلام وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والعولمة، وتراجع أدوار المؤسسات التربوية، والتغيرات في الأسرة العربية المعاصرة من أبرز التغيرات الدينامية التي أدت إلى التغيرات على جماعة الرفاق كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي المعاصر.

**التوصيات:**

- إعادة النظر من قبل الباحثين والمراقبين بأدوار مؤسسات التنشئة الاجتماعية المعنية بالتربية والتنشئة المؤثرة فيها بطريقة جديدة تتواءم مع التغيرات الاجتماعية والثقافية في المجتمعات العربية المعاصرة.
- إعداد دراسات ميدانية تتناول طبيعة الموضوعات المتبادلة عبر جماعات الصداقة الإلكترونية بين الشباب العربي.
- عمل دراسات حول توجهات الشباب العربي نحو الصداقات الإلكترونية ومدى تأثيرها في فكر الشباب وتوجهاتهم نحو القضايا الحياتية المختلفة.

## المراجـــــــــع:

### أولاً– المراجع العربية:


أبو الفتوح، عمار، وحلمي أبو زيد(2016). **تكنولوجيا الاتصالات وآثارها التربوية والاجتماعية** " **دراسة ميدانية بمملكة البحرين**"نقلا عن الإنترنت، تاريخ الدخول: 2016/5، رابط الموقع: http://kenanaonline.com

أبو زويد، زينات أحمد(2010). **دور جماعة الرفاق في النمو الاجتماعي لطلبة المرحلة الابتدائية في منطقة الناصرة في فلسطين**، رسالة ماجستير، جامعة عمان العربية للدراسات العليا: الأردن.

أبو لباد، ياسر (2007). **جماعات الرفاق في المدارس خصائصها وأنماط سلوكها الاجتماعية**، الطبعة الأولى، دار جرير للنشر والتوزيع: عمان، الأردن.

أبولباد، ياسر (2004). **الخصائص الاقتصادية والاجتماعية لجماعات الرفاق في المدارس الثانوية العامة في الأردن وعلاقتها بأنماط السلوك الاجتماعي السائد ومستوى التحصيل الدراسي لدى هذه الجماعات**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عمان العربية للدراسات العليا: الأردن.

بدر، أحمد(1996). **أصول البحث العلمي ومناهجه**، الطبعة التاسعة، المكتبة الأكاديمية للنشر: القاهرة.

بلقزيز، عبد الإله.(1999). **العولمة والهوية الثقافية**، في كتاب **(العرب والعولمة)**، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت.

جابر، سحر (2014). **الآثار الاجتماعية والمجتمعية لتعامل الشباب الجامعي مع مواقع التواصل الالكترونى : دراسة مقارنة بين الذكور والإناث في الوجه القبلي والبحري والقاهرة**"رسالة دكتوراة غير منشورة، معهد البحوث والدراسات التربوية، جامعة عين شمس: مصر.

حجازي، مصطفى.(2001). **علم النفس والعولمة، رؤى مستقبلية في التربية والتنمية**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت.

الخطيب، محمد، ومتولي، مصطفى، وعبدالجواد، نورالدين، والغبان، محروس، والفزاني، فتحية (2004).**أصول التربية الاسلامية**، ط3، دار الخريجي:الرياض.

زكي، وليد رشاد(2013). **رأس المال الاجتماعي بين السياق الواقعي والافتراضي،** نقلا عن الإنترنت تاريخ الرجوع: شهر نيسان/2016، رابط الموقع:
http://www.accronline.com/articledeetail.aspx?id :8793,2013/4/16/h19 :30.

الزيودي، ماجد (2011). **الشباب والقيم في عالم متغير،** الطبعة الثانية، دار الشروق: عمان، الأردن.

الزيودي، ماجد (2015). دور الشبكة الإجتماعية الفيس بوك في إحداث التغيرات السلوكية لدى طلبة جامعة طيبة بالمدينة المنورة في بعض المتغيرات الاجتماعية والثقافية، **مجلة رسالة الخليج العربي،** المجلد (36)، العدد (135): الرياض، ص ص: 15– 35.

شكور، جليل وديع (١٩٩٨). **أمراض المجتمع: الأسباب، الأصناف، التفسير، الوقاية والعلاج،** الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم: بيروت.

صلاح الدين، خالد (2011). اتجاهات الشباب المصري نحو شبكات التواصل الاجتماعي على الشبكة العنكبوتية: إطار نظرية الثراء الإعلامي"، **المجلة المصرية لبحوث الرأى العام،** المجلد العاشر، العدد الرابع، ديسمبر: جامعة القاهرة.

صوالحه، محمد، وحوامده، مصطفى (1994). **التنشئة الاجتماعية للطفولة،** دار الكندي للنشر والتوزيع: إربد، الأردن.

العادلي، فاروق محمد (1981). **الأنثروبوجيا التربوية،** دار الكتاب الجامعي: القاهرة.

الرشدان، عبدالله (2005). **التربية والتنشئة الاجتماعية،** ط١، دار وائل للنشر: عمان، الأردن.

عبد الرازق، جيلان (2011). مواقع شبكات التواصل الاجتماعي كوسائط لإكساب الشباب مهارات التعلم الذاتي وسلوك المشاركة المدنية، **المجلة المصرية لبحوث الرأى العام،** المجلد العاشر، العدد الرابع، ديسمبر: جامعة القاهرة.

عرفه، افنان (2015). **استخدامات الشباب للشبكات الاجتماعية وتأثيرها علي علاقاتهم في تبادل الخبرات المجتمعية،** رسالة ماجستير غير منشورة: كلية الاعلام، جامعة القاهرة: مصر.

عطوان، محمد، وعباس، زهير (2015).مواقع التواصل الاجتماعي والوظائف السياسية والاجتماعية المفترضة: الفيسبوك أنموذجاً، **مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية**، العدد (50): العراق، ص ص 309- 226.

الفوزان، عبد الله محمد (2007).**التنشئة الاجتماعية والتحديات المعاصرة**، نقلا عن الإنترنت، تاريخ الرجوع: آذار- 2016، الرابط:
http://www.ejtemay.com/archive/index.php/t-1007.html

فرانك، كليش (2000). **ثورة الإنفوميديا (الوسائط المعلوماتية وكيف تغير عالمنا وحياتك؟)**، ترجمة: حسام الدين زكريا، سلسلة عالم المعرفة (253)، يناير: الكويت.

كمال، أمال (2001). استخدام طلاب الجامعات المصرية لمواقع الشبكات الاجتماعية وعلاقته برأس المال الاجتماعي بالتطبيق على الفيسبوك، **المجلة المصرية لبحوث الرأى العام**، المجلد العاشر، العدد الرابع، ديسمبر: جامعة القاهرة.

ليلة، علي (1995). **الشباب في مجتمع متغير: تأملات في ظواهر الإحياء والعنف**، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية.

مزيد، بهاء الدين محمد (2012). **المجتمعات الافتراضية بديلاً للمجتمعات الواقعية، كتاب الوجوه نموذجاً**، جامعة الإمارات العربية المتحدة، نقلاً عن الإنترنت، تاريخ الدخول 4/ 2016، رابط الموقع:
www.elearning-arab-academy.com/home/459.html

وطفه، علي (1995). الثقافة العربية وأزمة القيم في الوطن العربي، **مجلة المستقبل العربي**، العدد(192)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

وطفه، علي (1993). **علم الاجتماع التربوي**، منشورات جامعة دمشق: سوريا.

**ثانيًا-المراجع الأجنبية:**

Exploring the uses and gratifications of face book among emerging adults, **Peeer-Reviewed Journal On the Internet**, volume 12, number 11-5, November,p.p1-19.

Lenhart, A. and Madden, M (2010). Privacy and Online Social Networks, **Pew Internet and American Life Project Report**), Retrieved December,20, 2010, from

www.pewinternet.org/
pdfs/PIP_Teens_Privacy_SNS_Report_Final.pdf.

Mecheel.V .(2010). Face book and the invasion of technological communities, N.Y: Newyurk.

Scott, E. Caplan (2005). Social Skill Account of Problematic Internet Use, **Journal of Communication**, December, Volume 55, Issue 4, p721 - 736.

Stephen, W. (1989). **Understanding Social** . ***Psychology***, Pacific Grove, California, p.582.

Veenhof, B. Wellman, B. Quell,c. and Hogan,B. (2008). **How Canadians' Use of the Internet Affects Social Life and Civic Participation**, Published by authority of the Minister responsible for Statistics Canada, Minister of Industry,p22.